

حواشٍ على الضمائر: دراسة مقارنة

أ.د. إسماعيل أحمد العميرة و د. حنان إسماعيل العميرة
كلية الآداب مركز اللغات

الجامعة الأردنية

ملخص: لا يعدو هذا البحث أن يكون حواشي على ما قدّمه علماء التراث اللغوي وبعض المستشرقين في درّس ظاهرة الضمائر في العربية وشقيقاتها من اللغات التي عُرفت باسم "اللغات السامية". فعمل في المنهج المقارن ما يسمح بإضاءة بعض الجوانب التأصيليّة من هذه الظاهرة، طمعاً في الإجابة عن بعض الأسئلة من نحو:

- كيف نُوصِلُ تعدّد النطق الذي جاءت عليه الضمائر العربية، على نحو ما نصت عليه كتب التراث اللغوي؟ وهل هذا التعدد من اصطناع اللغويين، أم هو قديم في تاريخ العربية الموعّل في القديم؟ وهل هو تعدد نابع من مقتضيات الوقف والوصل، أم هو جائز عند بعضهم على الأقل، وفقاً ووصلاً؟

- هل كان منبع التعدد الضرورة الشعرية التي كانت تُلجئ الشعراء إلى ابتداع أشكال نطقية، تستوي لهم معها صنعة الشعر؟

- هل يمكن ردّ بعض الضمائر إلى نواة واحدة، كأن تكون (أن) من ضمير المتكلم المفرد (أنا)، أصلاً لضمائر الخطاب (أنّ + ت، و: أنّ + ت، و: أنّ + تم، و: أنّ + تن)؟

إلى غير ذلك من أسئلة احتاجت إلى استحضار ما جاء لدى علماء التراث، وعلماء الساميات والاستشراق اللغوي. واحتاجت كذلك إلى الاهتداء بخطى المنهج المقارن.

كلمات مفتاحية: ضمير، تعدد النطق، المنهج المقارن

Comments on Pronouns: A Comparative Study

Abstract: This paper provides comments on the contribution by scholars of Traditional Arabic Linguistics and by some orientalists to the phenomenon of pronoun in the Arabic Language and other semantic languages. The study adopts the comparative approach, which clarifies some aspects related to the origins of the phenomenon. The study aimed to find answers to the following questions:

- How can we account for the variations in the pronunciation of Arabic pronouns in classical Arabic linguistic references? Are these variations invented by the linguists or are they rooted in the ancient Arabic Language? Are these variations determined the stopping or continuing of one's speech? Or were they admitted at least by some linguists both in stopping and in continuing?
- Were these variations created by poetic speech necessity, obliging poets to resort to invent forms of articulation corresponding to the poetic technique?
- Can a number of pronouns be referred to a single root such that (أن)، a part of The first person pronoun (أنا)، is the origin of the addressee pronouns?

The study aspires to answer these and other questions, which require a comparative approach in which resources of traditional Arabic language scholars, Semitic languages scholars, and linguistic orientalism, are consulted.

Key words: Pronoun, variation of pronunciation, the comparative approach.

مقدمة:

هذه "الكائنات" اللغوية المختصرة أو (الضامرة) كما يوحي بذلك اسمها: (الضمائر)، تتوب عن الأسماء على كثرتها التي لا يسهل حصرها عدًا. وهي تقع في فئات لا تتجاوز ثلاثًا: المتكلم، والمخاطب، والغائب. وهي تتفوق على الأسماء الصريحة؛ لأنها لا تدل على ذات أو معنى حسب، وإنما تتجاوز ذلك إلى أمور منها: أنها تتوب عن الاسم وتبين بعض صفاته، فإن قلت: (هو) فهي تعني الاسم وحالة الغياب، وأنه مذكر وليس مؤنثًا، وأنه مفرد، ليس مثنى ولا جمعًا. فالاسم المذكر قد ينتهي بالتاء المربوطة كحمزة وطلحة وجمعة، فيلتبس بالمؤنث، ولكن "الكناية" عنه بالضمير لا تحتمل إلا تذكيره أو تأنيثه، والاسم المفرد قد يلتبس بالمتنّى لفظًا أو الجمع في نحو: عثمان وزيدون، ولكن التعبير عنه بالضمير لا يحتمل إلا الأفراد. وهي تنطوي على قدر من البلاغة، إذ تمكن المرء من أن يتحدث عن شخص دون أن يُكرّر ذكر اسمه الصريح، فيبتدله، فما دام معلوما لدى القائل فأنت تستطيع أن تستعويض عن تكرار اسمه بإحلال الضمير محله. والضمير "كناية" عن الاسم الصريح، وقد يهوّن على القائل أو السامع الذي لا يرغب في تكرار الاسم الصريح، أن يُريح أذنه ونفسه، فيكون ذكر الضمير أخف وطأة عليه. وقد يبادل المستعمل في مواقع الضمائر فيما يسمى بـ (الالتفات) كأن ينتقل من التعبير عن المخاطب بضمير الغائب، أو عن الغائب بضمير المخاطب، فيُنزل أحدهما في مكان الآخر لغرض بلاغي.

وقد يعبر عن المفرد المخاطب: (أنت) أو المفرد المتكلم (أنا) بصيغة الجمع على سبيل التعظيم، فيقال: (أنتم) و (نحن)، ومنه قوله تعالى "إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون"⁽¹⁾. وليس من هم هذه الدراسة أن تتشغل بإعادة القول فيما قيل عن الضمائر، إذ لا فائدة في ذلك، وليس غرضها أن تكون تعليمية تفتن في الأساليب التي تسهل الإلمام بالمادة التي حفلت بها كتب النحو والصرف عن الضمائر، فهذا على أهميته يخرج عن هذا الموضوع.

وسيكون المعول في هذه الدراسة، على أن تستخدم المنهج التاريخي المقارن، بقصد تأصيل ظاهرة الضمير في العربية في ضوء ما يمكن أن تكتشفه الدراسات المقارنة بين العربية

(1) سورة الحجر، الآية 9.

حواشٍ على الضمائر: دراسة مقارنة

وشقيقاتها التي يُفترض أنها تمثل جزءاً عتيقاً من تاريخ العربية. فما العربية وهذه اللغات إلا جذوع قديمة تتشعب، ولكنها تلتقي في أرومة لغوية واحدة، وقد كانت تَمْتَح مع العربية من جذور واحدة.

وستأتي هذه الدراسة في شكل حواشٍ على ذلك الجهد المهم الذي بذله علماء العربية. وفيما يلي بعض الأسئلة التي تتوخى الدراسة أن تجيب عنها:

- كيف نُوصل تعدّد النطق الذي جاءت عليه الضمائر العربية على نحو ما نصّت عليه كتب اللغة؟ فالضمير (أنا) مثلاً، جاء في العربية على أشكال نطقية مختلفة نحو: (أنا، أن، أنه، أن...). فيقال: أنا فعلت ذلك، وأن فعلت ذلك، وأنه فعلت ذلك، وأن فعلت ذلك. فكيف نُوصل هذا التعدّد؟ ونحو ذلك يقال في ضمائر أخرى: (هو، وهي، وهم...). وهل هذا التعدد من افتعال النحاة أم هو قديم في العربية، سابق على عصور التقعيد النحوي؟ وهل هو تعدّد أملتته مقتضيات الوقف والوصل، أم هو جائز عند بعضهم على الأقل، وفقاً ووصلاً؟
- هل كان منبع التعدّد الضرورة التي كانت تلجئ الشعراء إلى ابتداع أشكال تستوي لهم معها صنعة الشعر؟ وما الضرورة التي تحدّث عنها بعض النحاة، وقد أُلجأت - كما يقولون - بعض الشعراء أن يُبدل التاء كافاً في الضمير (أنت) الذي نُطق (أنك)؟ أم كان تعدداً لهجياً، فيقال مثلاً: إن قُضاعة تمدّ الألف الأولى من (أنا) فتقول (آن) كما ذكر ابن منظور⁽¹⁾. وقيل إن همدان كانت تشدّد الواو في (هو: هو). فهل أن ما حدث في نطق القبائل العربية امتداد لما حدث في مراحل أقدم بين اللغات السامية، حتى تعدد نطقها وتباين على نحو ما تباين في اللهجات العربية؟
- هل يمكن ردّ بعض الضمائر إلى بعض، كأن يقال إن الأصل في: أنا (بأشكالها) و (أنت) وأنت وأنتم وأنتن) هو المقطع الأول من ضمير المتكلم المفرد 'an ثم أُضيفت إليه التاء في ضمائر الخطاب؟
- تُميّز العربية بين المذكر والمؤنث فتقول (أنت وأنت)، ويظهر هذا واضحاً جلياً في وصل الكلام، فكيف نفسر اتجاه بعض اللغات السامية إلى حذف الكسر والفتح نطقاً، وصلاً ووقفاً؟ وإلى أي مدى يمكن أن تسعفنا اللغات السامية في فهم أصول بعض الظواهر اللغوية العربية من خلال ظاهرة كالضمائر؟

(1) ابن منظور. جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، دون ت: (أئن) 37/13.

أسئلة عديدة تملّي نفسها، وتتطلب ما يسعف في الوصول إلى حلّ لما شغل القدماء، وتباينت فيه آراء النحاة من بصريين وكوفيين وغيرهم.

لقد توصلت الدراسات التراثية العربية إلى نتائج دقيقة في وصف ظاهرة الضمير. ولعلّ الكتب المطوّلة كشرح المفصل لابن يعيش، كانت الأهم في هذا المقام، ولكن أسئلة كثيرة لم يُجب عنها في غياب معرفة كافية باللغات السامية، ولذا اتجهت دراسات المستشرقين المتخصصين في اللغات السامية إلى دراسة الظواهر دراسة تاريخية مقارنة، ولعل من أهم هذه الدراسات كتاب بروكلمان Brockelmann المشهور Grundriss وقد أفادت منه هذه الدراسة كثيراً. وثمة دراسات أخرى ولاسيما تلك التي توافر لنا الوقوف عليها لنوازن بينها، ومنها في:

- الأكادية، كتاب أونجناد Ungnad، وريمشنايدر Riemschneider.
 - الحبشية: ومن كتبها كتاب بريتوريوس Praetorius، وكتاب Dillmann، وكتاب متفوخ Mittwoch.
 - السريانية: ومن كتب هذه اللغة كتاب روزنتال Rosenthal، وكتاب دالمان Dalman، ونولدكه Nöldeke.
 - والآرامية: ومن كتبها كتاب ديجن Degen، وروزنتال Rosenthal.
- وكلها موثقة توثيقاً كاملاً في قائمة المراجع.

وقد رجعنا إليها جميعاً ورجعنا إلى مراجع أخرى للموازنة مع اللغات شقيقات العربية. فإذا كانت النصوص التي وصلت إلينا من العربية حديثة العهد إذا ما قورن الأمر بعمر النصوص التي وصلت إلينا من تلك اللغات الضاربة في عمق التاريخ، فإن الحاجة إلى النقوش القديمة التي تسبق الشعر الجاهلي تصبح مهمة لغرض الموازنة والوقوف على أصول الظواهر اللغوية. فالنقوش العربية حديثة العهد إذا ما قورن الأمر بما وصل إلينا من النقوش القديمة للغات السامية الأخرى، فالأكادية تعود نصوصها إلى 2450 قبل الميلاد، ونصوص الأوغاريتية تعود إلى نحو 1350 قبل الميلاد، أما العربية فلعل نقش النمارة أو النقش الذي كُتب على قبر امرئ القيس بن ظالم هو الأقدم، وهو حديث العهد نسبياً، إذ يعود إلى 328 بعد الميلاد. وصحيح أن العربية مستغنية بنصوصها الكثيرة. ولكن هذا لا يمنع من أن نفيد من اللغات الشقيقات (الساميات) في الوقوف على تاريخ الظواهر اللغوية العربية وأصولها الموعلة في القدم. وقد أصبح لتحقيق هذا الغرض منهج معروف يُسار عليه في تأصيل الظواهر.

حواشٍ على الضمائر: دراسة مقارنة

وأما ما سارت عليه هذه الدراسة فيتمثل في الانطلاق من آراء العلماء في تراثنا في هذه الظاهرة، لننظر في ما يمكن أن ترجحه لنا النظرة الموازنة (المقارنة)، فنوازن بين ما جاء في العربية وما تيسر الوقوف عليه في أخواتها.

وقد تمثلت الحواشي التي قامت عليها هذه الدراسة في النقاط الآتية:

- حاشية تتعلق بالمصطلح اللغوي الذي عبّر به عن الضمير بأنواعه: المتكلم والمخاطب والغائب، ولا سيما في اللغات الثلاث: العربية والعبرية والسريانية، أما اللغات السامية كالأكدية والعربية الجنوبية والآرامية القديمة... فلا يُعرف لها أصلاً درس لغوي تراثي، فضلاً عن أن يكون لها مصطلح يعبر عن ذلك الدرس. وقد كان الوقوف على الموازنة بين المصطلح العربي مقابل المصطلحين: العبري والسرياني، بدافع إثبات الاختلاف الجوهرى بين نشأة الدرس اللغوي العربي والدرس اللغوي في هاتين اللغتين. والمعلوم أن النحو السرياني والعبري قد تأثرا بالنحو اليوناني ثم تأثرا لاحقاً بالنحو العربي. ولم يثبت أن النحو العربي قد أخذ عن هاتين اللغتين في مرحلة النشأة، وهذه مسألة بُحنت بتفصيل⁽¹⁾، ولكننا نقتصر هنا على حواشٍ لم تدرس.

- حاشية تبحث في ضمائر التكلم: أنا، نحن.

- حاشية تبحث في ضمائر الخطاب: أنت، أنت، أنتما، أنتم، أنتن.

- حاشية تبحث في ضمائر الغيبة: هو، هي، هما، هم، هن.

- حاشية تبحث في ضمائر النصب المنفصلة.

- حاشية تبحث في صلة الضمائر المنفصلة بالضمائر المتصلة.

وقد جاء الاهتمام في هذه الدراسة بالضمائر المنفصلة، وفي تسويغ ما قد يكون لها من صلة بالضمائر المتصلة. وأحسب أن الحديث عن الضمائر المتصلة يحتاج إلى وقفة أخرى.

(1)

في المصطلح

ثمة شبه بين تسمية المصطلح العربي والعبري للضمير. فالعربية تسميه "الضمير" أو "الكناية" والضمير من الضمور، قال ابن منظور: "والضمّر من الرجال: الضامر البطن، وفي التهذيب:

(1) انظر عميرة، إسماعيل: المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدراسات اللغوية العربية، ط3، دار وائل، عمان، 2002، ص 40 وما بعدها.

الهَضْمُ البطن اللطيف الجسم⁽¹⁾، والضمير: السرّ وداخل الخاطر، أي ما تخفيه في جوفك، ومنه أضمرت في نفسي شيئاً، والاسم الضمير والجمع الضمائر⁽²⁾.

وقد عبرت العبرية عن المعنى نفسه بمصطلح *šēm haggūf* و *šēm* تعني اسم، و *haggūf* تعني المجوّف⁽³⁾، أي المضمّر أو الضامر، و *guf* تعني: جوهر الشيء أي سره⁽⁴⁾ وضميره، وجوفه. فالمعنى اللغوي واحداً تقريباً، ولكن اللفظين مختلفان.

ولكن العبرية عبرت عن ضمير المتكلم بـ *gūf rišōn* أي الضمير الأول، ويقصد به ضمير المتكلم، و *gūf šēnī* أي الضمير الثاني، ويقصد به ضمير المخاطب، و *gūf šīšī* أي الضمير الثالث، ويقصد به ضمير الغائب⁽⁵⁾.

ولا يخفى أن العبرية قد تأثرت بالتسميات الأوروبية للضمائر: المتكلم والمخاطب والغائب. وثمة تسمية أخرى للضمير في العبرية فهو يسمى *hakinūy* وهي لفظاً ومعنى تعنى الكناية، من منطلق أن الضمير يكتنّى به عن الاسم الظاهر. قال الأستاذ ربحي كمال: "إلا أن لفظة *kinūy* تطلق بوجه خاص على ضمائر النصب والجرّ المتصلة"⁽⁶⁾. ومعلوم أن الدرس اللغوي العربي أطلق على الضمير اسم الكناية، لأنه يُكتنّى به عن الاسم. قال ابن يعيش: "لا فرق بين المضمّر والمكتنّى عند الكوفيين، فهما من قبيل الأسماء المترادفة، فمعناهما واحد وإن اختلفا من جهة اللفظ. وأما البصريون فيقولون: المضمّرات نوع من المكنيات، فكل مضمّر مكتنّى، وليس كل مكتنّى مضمّراً، فالكناية إقامة اسم مقام اسم، تورية وإيجازاً"⁽⁷⁾. ومهما يكن فإن مصطلح: المضمّرات أو الضمائر هو الذي ساد، وأما مصطلح المكتنّى أو الكناية فقد انحاز لأداء المفهوم البلاغي المعروف.

وأما السريانية فقد أطلق الدرس اللغوي السرياني على الضمير مصطلح *helāf šemā* أي: خَلَفَ الاسم، أي بديل الاسم، و (*helaf*) السريانية تعني الخليف عن (أي البديل عن)،

(1) ابن منظور: اللسان (ضمير) 4/491.

(2) ابن منظور: اللسان (ضمير) 4/492.

(3) انظر كمال، ربحي، دروس اللغة العبرية، دار النهضة، بيروت، 1978: ص 37.

(4) انظر كمال، ربحي، المعجم الحديث - عبري عربي، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1975: ص 84، وانظر: Gesenius, Wilhelm: Hebräisches und Aramäisches hand - wörterbuch über das Alte testament, 17 Auflage, Germany, 1962.

(5) انظر كمال: المعجم الحديث، ص 84.

(6) كمال: دروس اللغة العبرية، ص 136.

(7) ابن يعيش، موفق الدين: شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت، 84/3.

حواشٍ على الضمائر: دراسة مقارنة

و šēmā تعنى الاسم. أي أن الضمير يخلف الاسم، وهي ترجمة حرفية عن Nomina أي الاسم في اليونانية، و Pronomina وتعنى في اليونانية البديل عن الاسم. وهو المصطلح الذي أخذته اللغات الأوروبية لاحقاً للتعبير عن الاسم⁽¹⁾.

وأما ضمير المتكلم فالمصطلح الدال عليه في السريانية هو ترجمة حرفية لـ First Persona و Persona كلمة يونانية تعني الشخص، وعلى هذا فإن المصطلح السرياني persūpā qaḏmāyā تعني First Person والترجمة الحرفية: الشخص الأول أو "المتقدم" بمعنى المتكلم، و persūpā هي تحريف لـ Persona⁽²⁾.

وأما ضمير المخاطب فهو في السريانية parsūpā terayyānā وتعني الشخص الثاني⁽³⁾ Second Persona. وضمير الغائب parsūpā teliṭāyā أي Third Person، فهي مصطلحات لغوية سريانية مترجمة حرفياً عن اليونانية، بل حرفت كلمة parsūpa عن Persona اليونانية.

لقد استثمر بعض الباحثين هذه المصطلحات السريانية ليستدل بها على أن العربية قد أخذت المصطلحات العربية الدالة على هذه المفاهيم من السريانية، مع أن المصطلح العربي يختلف - كما رأينا - عن المصطلح السرياني اختلافاً بيناً، وأن المصطلح السرياني منقول أو مترجم ترجمة حرفية عن المصطلح اليوناني⁽⁴⁾.

إن الثابت أنه "لم يؤلف اليهود كتاباً علمية في قواعد لغتهم إلا بعد أن تتلمذوا للعرب، وبعد أن نشؤوا في مهد الثقافة الإسلامية نشأة مكننتهم من فهم العلوم العربية على اختلاف أنواعها، فظهر في القرن التاسع سعدياً (942-983) وهو سعيد بن يوسف الفيومي، فيلسوف اليهود في القرن العاشر وكان أول النحاة العبريين الذين وضعوا قواعد النحو العبري على غرار قواعد اللغة العربية"⁽⁵⁾. ويقول ربحي كمال: "وسلك جميعهم في كتبهم النحوية مسلك النحاة العرب

(1) انظر عمارة: المستشرقون ونظرياتهم، ص: 57-58.

(2) Lektorat Deutsche Sprache, 572

(3) انظر عمارة: المستشرقون ونظرياتهم، 78.

(4) انظر فريحة، أنيس، في اللغة العربية وبعض مشكلاتها، بيروت، 1980، ص: 38 - 46، وانظر ترزي، فؤاد حنا: في أصول اللغة والنحو، بيروت، 1969، ص: 113 - 116، وهما يذهبان إلى أن المصطلحات العربية مأخوذة عن السريانية، وقد ردّ عليهما عمارة في: المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدراسة اللغوية العربية، 84-74.

(5) انظر كمال: دروس اللغة العبرية، ص 46.

وخاصة سيبويه⁽¹⁾، وقد ساروا على قواعد الشعر العربي وعروضه ك: يهوذا بن هاليفي الملقب بأبي الحسن اللاوي الذي ولد في طليطلة 1080م، وإبراهيم بن عزرا (ولد في طليطلة 1092م)⁽²⁾.

وينقل ربحي كمال عن البروفسور دافيد يالين، أستاذ الأدب العبري الأندلسي في الجامعة العبرية في القدس من مؤلفه "فن الشعر الأندلسي" قوله: "لقد كان العصر الأندلسي عصراً زاهراً في الأدب العبري. بدأ هذا العصر قبل البعث الأوربي بحوالي خمسة قرون. وقد شمل التقدم تفسير التوراة، وتفسير التلمود ووضع قواعد اللغة العبرية"⁽³⁾.

وأما السريانية فإن "كثيراً من كتب النحو السرياني تسير على منهج النحو العربي في مصطلحاتها وقواعدها، فالأمر أوسع من مجرد مصطلحات يقارن فيما بينها في اللغتين، كما فعل أنيس فريجة، وقد حدث هذا الاحتكاك بين اللغتين نحوياً، بعد أن استوى النحو العربي على سوقه، وازدهر، وذاع صيته بين الأمم، فتأثر به السريان واليهود، والفرس، وصاغوا قواعد لغاتهم على منواله. فهذا هو ذا المطران "إيليا" مطران طبرهان يضع كتاباً في النحو السرياني، وقد سار فيه على النظام العربي"⁽⁴⁾.

إن المصطلحات السريانية والعبرية التي حملتها هاتان اللغتان من العربية عديدة، منها المصطلحات السريانية الآتية *šēmā di zabnā* ويقابله في العربية اسم الزمان، و *zūcārā* ويقابله التصغير و *petāḥā* وتعني الفتح، و *eṭūfāyā* وتعني العطف، و *Kaylā* وتعني: اسم الكيل، و *dekrānāyā* وتعني المذكر⁽⁵⁾.

ومن أمثلة المصطلحات العبرية: *šēm* الاسم، و *poal* فعل، والكلام ثلاثة أقسام كالعربية: اسم وفعل وحرف، بالمفاهيم نفسها التي تحملها المصطلحات العربية.

ومنها: *zemanē hapoal* زمن الفعل، و *binyānē hapoal* أبنية الأفعال، و *šēm hapoal* أي: السالم (من الأفعال أو الأسماء)، و *šēm happoal* اسم الفعل، و *šēm*

(1) المرجع السابق، ص 47.

(2) انظر كمال: دروس اللغة العبرية، 49.

(3) المرجع السابق، 48.

(4) انظر عميرة: المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدراسات اللغوية العربية، 85، وانظر تروبو، جيرار: نشأة النحو العربي في ضوء كتاب سيبويه، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، عدد 1، 1978، 125-138.

(5) انظر عميرة: المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدراسات اللغوية، 75، وانظر فريجة: 38-46، وترزي: 113-

حواشٍ على الضمائر: دراسة مقارنة

happa'āl اسم المفعول، و šmot hazmān whamqom أسماء الزمان والمقام (المكان) .. وغير ذلك⁽¹⁾.

(2)

ضميرا التكلُّم: أنا، نحن

• أنا

قال ابن منظور في الأشكال المختلفة التي جاء عليها الضمير (أنا): "مرُوي عن قطرب أنه قال: في (أن) خمس لغات: أن فعلت، و: أنا فعلت، و: أن فعلت، و: أن فعلت، و: أنه فعلت. حكى ذلك عنه ابن جنِّي⁽²⁾.

وهذا التنوع جاء مؤصلا في اللغات السامية، فهذا الضمير جاء على أشكال متعددة في هذه اللغات، فقد عرفته الحبشية⁽³⁾ بأشكال متباينة نحو 'ana بالفتحة القصيرة، وهو الشكل المكافئ لـ (أن) و 'ānē بالمد بعد الهمزة وهو المد الذي نلاحظه في (آن) في العربية.

وقد ذهب ابن سيدة إلى أن أصل الضمير (أن) "فإذا وقفت ألحقت ألفاً للسكوت"⁽⁴⁾، وقد جاء هذا الضمير بالآرامية القديمة⁽⁵⁾، (التي لم يُظهر نظامها الكتابي الصوائت) جاء موثقا بالهمزة والنون والهاء 'nh وجاء في السبئية بالهمزة والنون 'n والكتابة السبئية كذلك لا تظهر الحركات⁽⁶⁾. وتعود نصوص هذه اللغة إلى حوالي 400 قبل الميلاد.

وهو بالمد في الآرامية الإنجيلية⁽⁷⁾، 'anā بمد الحركة بعد النون.

وفي السريانية 'enā وفي العبرية⁽¹⁾ 'ano + kī = ,anōkī.

(1) ولمزيد من الأمثلة انظر كمال: دروس اللغة العبرية: 97، 160، 230، 231، وغيرها.
(2) ابن منظور: اللسان (أئن)، 38 / 13، وانظر ابن يعيش: شرح المفصل، 94/3، والسمين الحلبي: الدر المصون، 354-353/2.

(3) Praetorius, F.: Äthiopische Grammatik, Leipzig 1889:23, Mittwoch, Eugen: Die Traditionelle Auspsrache der Äthiopischen, Berlin – Leipzig, 1926: 46, Brockelmann, Carl: Grundriss der vergleichenden Grammatik der semitischen Sprachen, Berlin 1908: I/298

(4) ابن منظور: اللسان (أئن) 38-37/13.

(5) Degen, Rainer: Altaramäische Grammatik, Wiesbaden 1969: 54

(6) Beeston +Ghul+Müller+Ryckmans: Sabaic Dictionary (English – French-Arabic), Beyrouth, 1982: 6

(7) Dalman, Gostaf: Grammatic des Jüdisch – Palästinischen Aramäish, Darmstadt, 1981: 106, Brockelmann I/ 298

والصوت \bar{o} في الضمير العبري هو تقخيم للصوت \bar{a} العربي، وأما الصوت (خي: $k\bar{i}$) فهو الشكل الألفوني الآخر للصوت: كي، ويقابله في الأكادية⁽²⁾ الصوت $k\bar{u}$ في ضمير المتكلم المفرد $an\bar{a} + k\bar{u}$. وثمة أشكال أخرى لهذا الضمير في بعض حروف الحبشية $\bar{a}n\bar{a}$. وفي لغة تجربينا (حبشية) وفي الأمهرية⁽³⁾ $eni\bar{e}$. وفي السريانية⁽⁴⁾ $\bar{e}n\bar{a}$. أما الكاف الأكادية أو الخاء العبرية⁽⁵⁾ فهي مجرد عنصر إشاري إضافي⁽⁶⁾ بدليل مجيئه في العبرية من غير هذه الإضافة $an\bar{i}$ أي إلى جانب $an\bar{o}k\bar{i}$ ، وهو على صلة وثيقة بالضمير الأكادي $an\bar{a}k\bar{u}$.

والألف بعد النون في الضمير العربي للمتكلم تأتي في بعض اللغات السامية، وهي غير منفتح عليها كالفتح الطويل في العربية والآرامية والسريانية والأكادية، أو الفتح القصير كالعربية أو إمالة يائية \bar{e} في الحبشية، أو ضم في الكنعانية، أو كسر في العبرية أو الفتح المماله نحو الضم \bar{o} في العبرية، أو الألف المماله نحو الياء \bar{a} في التجرية⁽⁷⁾.

وهنا يكون لزاما الوقوف عند مسألة منهجية، فالدكتور يعقوب بكر يذهب في تحقيق هذه المسألة التاريخية المقارنة إلى الانتصار لرأي الكوفيين، بحجة أن أكثرية اللغات السامية تمدّ فتحة النون في الضمير (أنا). قال: "هذا الخلاف بين البصريين والكوفيين ينحسم كما قلنا بالرجوع إلى سائر اللغات السامية، فأكثرها كما رأينا يمدّ فتحة النون: فالكوفيون إذن على صواب. فصيغة الوقف (أنا) احتفظت إذن بالمدّ الأصلي لاستحالة الوقوف على الحركة القصيرة"⁽⁸⁾. لا ندري لم هذه الاستحالة صوتيا، أفلا يقال: لم يسع، ولم يرق، حتى عند الوقف.

والبقايا التاريخية تكون في العادة قليلة، ولكنها قد تعبّر عن أصول قديمة، ولا مانع من أن تكون هي الأكثر شيوعا في مرحلة سابقة. ثمّ ماذا نقول في اللهجات العربية التي لا تحقق مدّ فتحة النون وصلا ووقفا؟ وماذا نقول في بعض اللغات السامية التي تسلك السلوك نفسه؟

Brockelmann I/ 298 (1)

Ungnad, Arthur: Grammatic des Akkadischen München 1964: 31, Brockelmann I/ 298 (2)

Brockelmann I/ 298 (3)

Nöldeke, Theodor: Zur Grammatik des Classischen Arabisch, Darmstadt, 1963: 44 (4)

انظر كمال: دروس اللغة العبرية 137

Brockelmann I/ 298 (6)

Brockelmann I/297-298 (7)

(8) بكر، يعقوب: دراسات في فقه اللغة العربية، مكتبة لبنان، بيروت، 1969: 38

حواشٍ على الضمائر: دراسة مقارنة

ولعل هذه الأصوات الصائتة المختلفة التي بعد النون في ضمير المتكلم في اللغات السامية لا تمثل جوهر هذا الضمير. وأما الهاء مع هذا الضمير في الآرامية⁽¹⁾ فهي مجرد هاء ملحقة للسكت، كما في (أنه) التي جاء عليها هذا الضمير في العربية. قال ابن منظور "ويجوز أن تكون الهاء ألحقت لبيان الحركة كما ألحقت الألف، ولا تكون بدلاً منها، بل قائمة بنفسها كالتي في: كتابيه وحسابيه"⁽²⁾.

وقال ابن جني في ألف (أنا) "فأما الألف في "أنا" في الوقف فزائدة، وليست بأصل"⁽³⁾. وقال في (أنه): "وقد قالوا في الوقف "أنه" فبيّنوا الفتحة بالهاء كما بينوها بالألف"⁽⁴⁾. ولا مانع من أن يكون بعض العرب حريصاً على بيان الفتحة بالهاء وفقاً ووصلاً.

وقد ذكر ابن جني على (أنا) التي حُققت فيها الألف (الفتحة الطويلة) قول الشاعر:

أنا سيفُ العشيّرة فاعرفوني حُميداً قد تدرّيتُ السّناما

قال بعد أن ذكر البيت: "فإنه أجراه في الوصل على حدّ ما كان عليه في الوقف"⁽⁵⁾. وليس هذا من باب الضرورة، فقد مُدّت الألف في بعض القراءات كقراءة نافع⁽⁶⁾ في نحو قوله تعالى: "أنا أكثر منك مالاً وأعزّ نفراً"⁽⁷⁾، وقراءة قوله تعالى: "أنا أحيي وأميت"⁽⁸⁾. قال السمين الحلبي في ألف "أنا أكثر منك مالاً" فيه لغتان، إحداهما: لغة تميم، وهي إثبات ألفه وصلاً ووقفاً، وعليها تحمل قراءة نافع، فإنه قرأ بثبوت الألف وصلاً قبل همزة مضمومة نحو: "أنا أحيي" أو مفتوحة، نحو: "وأنا أول"⁽⁹⁾. واختلف عنه في المكسورة نحو: "إن أنا إلا نذير"⁽¹⁰⁾، واللغة الثانية: إثباتها وقفاً وحذفها وصلاً"⁽¹¹⁾، قال سيبويه: "ومن ذلك قولهم (أنا)، فإذا وصل قال: أن أقول ذلك.

(1) Rosenthal, Frans: A Grammar of Biblical Aramic Wiesbaden, 1961: 19

(2) ابن منظور: اللسان (أنن) 38/13، وانظر السمين الحلبي: 554/2، وابن يعيش: شرح المفصل، 94/3.

(3) ابن جني: المنصف، شرح التصريف للمازني، تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، مصر، 1954: 9/1.

(4) ابن جني: المنصف، 10/1

(5) ابن جني: المنصف 10/1

(6) ابن يعيش: شرح المفصل 93/3

(7) سورة الكهف: الآية 34

(8) سورة البقرة: الآية 258.

(9) سورة الأعراف: الآية 143.

(10) سورة الشعراء: الآية 115.

(11) السمين الحلبي: 355/2، وانظر ابن مجاهد: السبعة في القراءات، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، مصر،

دون ت: 188.

ولا يكون في الوقف في (أنا) إلا الألف⁽¹⁾. وتباينُ آراء العلماء في هذا يعود إلى أنهم يصفون من اللهجات المتباينة ما اتفق لهم سماعه، أو معرفته عن بعض العرب، وليس عنهم جميعاً، فهذا يصف ما بدا له، وذلك يصف ما بدا له، فظهر الأمر كما لو كان متناقضاً، وهو في حقيقته متكامل في توصيف مجمل اللهجات.

وقال ابن يعيش في الضمير (أنا) "إذا كان وحده فالألف والنون هو الاسم عند البصريين، والألف الأخيرة أتت بها في الوقف لبيان الحركة" وهو يعني بالألف: الحركة الطويلة أتت بها لبيان الحركة القصيرة على النون⁽²⁾.

وأما قوله "وذهب الكوفيون إلى أنها بكمالها هو الاسم"⁽³⁾ يعني بذلك أن الألف بعد النون من (أنا) أصلية، وقد رأينا أن اللغات السامية فيها ما يؤيد الرأيين.

• نحن:

هل قام ضمير المتكلمين على قاعدة الضمير (أنا)؟ إن لهذا الضمير في بعض اللغات السامية ما قد يشير إلى ذلك. ففي العبرية⁽⁴⁾ $'ana + \text{h}n\bar{u} = 'ana\text{h}n\bar{u}$ إلى جانب $na\text{h}n\bar{u}$. وفي الآرامية⁽⁵⁾ كذلك $'ana + \text{h}n\bar{a} = 'ana\text{h}n\bar{a}$ ، وهي تكتب بالخط الآرامي منتهية بالهاء (هاء الوقف)⁽⁶⁾، التي لا تُحَقِّق نطقاً وفي السريانية⁽⁷⁾: $'an\text{h}n\bar{a}$ فكان الضمير فيها مبنياً على قاعدة من ضمير المتكلم المفرد. وكذلك الحال في الأكادية التي جاء فيها ضمير المتكلمين مبنياً على أصل من الضمير المفرد للمتكلم $'an\bar{i}$ ولهذا الضمير في الأكادية⁽⁸⁾ أشكال أخرى $'an\bar{i}$ ، $n\bar{i}$ ، $n\bar{i}nu$.

ولم تبرز الكتابة الأكادية صوت الحاء بسبب قصور الكتابة السومرية عن إظهار هذا الصوت الحلقي، إذ الأصل أن ينطق هذا الضمير في الأكادية $'an\bar{i}/\text{h}n\bar{i}$ ، وبالتالي فإن ضمير المتكلم في هذه الكلمة هو $'an\bar{i}$ وإلى جانب هذه الصيغة الأصلية لهذا الضمير جاءت صيغة

(1) سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، عالم الكتب، بيروت: 164/4

(2) ابن يعيش: شرح المفصل 93/3

(3) ابن يعيش: شرح المفصل 93/3، والسمين الحلبي 553/2.

(4) Brockelmann: I/ 300

(5) Brockelmann: I/ 300

(6) Rosenthal: 19

(7) Robinson, Theodore H.: Paradigms and Exercises in Syria Grammar, London, 1994: 13

(8) Riemschneider, Kaspar K.: Lehrbuch des Akkacischen Leipzig, 1973: 292, Brockelmann I: 300

حواشٍ على الضمائر: دراسة مقارنة

مختصرة وهي nīnī⁽¹⁾. وأصلها أن تأتي مع الحاء التي سقطت من النظام الكتابي على هذا النحو: nīhnī⁽²⁾.

ويبدو أن القاعدة الإفرادية 'an لضمير جمع المتكلمين والمتكلمات قد حُذفت اختصاراً ونتيجة لكثرة الاستعمال، فأصبح الضمير الدال على الجمع هو (u) nahhn. وبذا تكون العربية قد استقرت على الشكل المختصر. وقد أشار ابن يعيش إلى أن ضمة (نَحْنُ) قد انتقلت عند بعض العرب إلى الساكن قبل نون الضمير فقليل: نَحْنُ nahhun. قال "قد يقفون عليه (أي على الضمير نحن) بنقل الضمة إلى الساكن قبله، فيقولون: نَحْنُ كما يقولون: هذا بَكْرٌ"⁽³⁾، بدلاً من: هذا بَكْرٌ، وفقاً.

وقد شاركت العربية في هذه الصيغة المختصرة الحبشية⁽⁴⁾ neḥna أو neḥnā بالتقصير أو بالمد، وفي المهرية nahnā، وفي التجري جاءت مختصرة اختصاراً أشد hēnā وفي الأمهرية⁽⁵⁾ enā. وربما حُذفت الحاء من الأمهرية بتأثير من اللغات الإفريقية. ولعل هذه الأشكال السامية المختصرة تفسر ما يطرأ على هذا الضمير من اختصار، إذ هو يُنطق في لهجة طرابلس الغرب hne وفي اللهجة النجدية hinna أو ḥinnā، كما يُسمع ذلك في اللهجتين في أيامنا هذه.

ومن الملاحظ أن اللغات السامية اكتفت في الدلالة على المذكر والمؤنث، بضمير واحد لهما. فالضمير (أنا) يعني المذكر والمؤنث، وكذلك الجمع، فالضمير (نحن) دلّ على المذكرين والمؤنثات، بخلاف الضمائر الأخرى للخطاب والغيبية (أنت - أنت - أنتم - أنتن، هو - هي، هم - هن) وقد دل ضمير المتكلمين (نحن) على المثنى والجمع مذكراً ومؤنثاً في اللغات السامية جميعاً، وفي تعليل ابن يعيش لذلك في العربية قال: "يستوي في ذلك التنثية والجمع، والمذكر والمؤنث، استغناء بقرينة المشاهدة والحضور عن علامة تدل على كل واحدة من هذه المعاني"⁽⁶⁾. ولعل هذه الظاهرة تعم لتشمل لغات أخرى غير سامية، كالإنجليزية والألمانية وغيرهما، للتفسير نفسه الذي قدمه ابن يعيش. فاللغة تعتمد على سياق الحال، وقد لمس ابن يعيش هذا.

(1) انظر 31 Ugnad، Riemschneider 107

(2) Brockelmann: I/ 300

(3) ابن يعيش: شرح المفصل 95/3.

(4) Praetorius 23، Brockelmann: I/ 299

(5) Brockelmann: I/. 299

(6) ابن يعيش: شرح المفصل 93/3

(3)

ضمائر الخطاب: أنتَ، أنتِ، أنتما، أنتم، أنتن

• ضميرا الخطاب للمفرد: أنتَ، أنتِ

قال ابن منظور في لمُس منه للعلاقة بين ضمير المتكلم (أنا) وضمائر الخطاب "واعلم أنه قد يوصل بها تاء الخطاب فيصيران كالشيء الواحد من غير أن تكون مضافة إليه، تقول: أنتَ، وتكسر للمؤنث، وأنتم، وأنتن"⁽¹⁾. وقال ابن يعيش: "إذا خاطبت واحداً فالاسم منه الألف والنون عندنا، وهي التي كانت للمتكم، زيدت عليها التاء للخطاب"⁽²⁾.

وأما قول الكوفيين "إن التاء من نفس الكلمة، والكلمة بكمالها اسم عملاً بالظاهر"⁽³⁾، فهذا منطلق وصفي، ولذا قال ابن يعيش "عملاً بالظاهر"، أي الظاهر الذي آلت إليه الكلمة، أما مذهب البصريين فهو ينسجم مع منطق النظرة التاريخية، بمعنى أن الأصل هو ضمير المتكلم المفرد ثم أضيفت إليه التاء علامة الخطاب.

وقد حافظ كثير من اللغات السامية على قاعدة ما تألف منه ضمير المفرد المتكلم في بناء ضمائر الخطاب، فالقاعدة التي يتألف منها المتكلم هي المقطع 'an وليتشكل ضمير المخاطب أضافت اللغات السامية العنصر الإشاري ممثلاً في التاء المفتوحة للدلالة على المذكر أنتَ 'an+ta في العربية، والتاء المماله نحو الكسر في الحبشية⁽⁴⁾ 'an + tä' للدلالة على المذكر، وأضافت العربية العنصر الإشاري ممثلاً في التاء المكسورة للدلالة على المؤنث: أنتِ 'anti' وهي تقابل التاء المكسورة بكسرة طويلة في الحبشية⁽⁵⁾ 'anti' وفي السبئية⁽⁶⁾ 'nt' (من غير ظهور للحركات في نظامها الكتابي).

قال ابن يعيش في بيان العلة في فتح تاء الضمير مع المخاطب المذكر وكسرها مع تاء المؤنث "تفتح التاء مع المذكر وتكسرها مع المؤنث للفرق بينهما، وخصوا المؤنث بالكسر لأن الكسرة من الياء، والياء مما تونث بها في نحو: تفعلين وفي (ذي)"⁽⁷⁾. وتشير النظرة المقارنة إلى

(1) ابن منظور: اللسان (أنن) 37/13

(2) ابن يعيش: 95/3.

(3) ابن يعيش: 95/3

(4) Mittwoch: 46, Praetorius: 23 (4)

(5) Mittwoch: 46, Praetorius: 23 (5)

(6) Beeston: 6 (6)

(7) ابن يعيش: شرح المفصل 86/3

حواشٍ على الضمائر: دراسة مقارنة

أن الفتح يشكل أصلاً في ضمير المخاطب المذكر، وأن الكسرة هي الأصل في المؤنث، وأن الكسرة الطويلة (ī) ربما كانت هي الأصل في اللغات التي تؤنث بالكسرة القصيرة. غير أن بعض الساميات كالعبرية والآرامية والسريانية التي اتجهت إلى تسكين أواخر الكلم لم تظهر فيها الكسرة، ولكنها مع ذلك تظل أصلاً تاريخياً في هذه اللغات.

وأما العبرية⁽¹⁾ فقد حافظت على الفتحة بعد التاء للمذكر (مع إدغام النون في التاء) antā ← attā كما حافظت كذلك على التاء للمؤنث anti ← att، والضمير المنفصل للمذكر في الأكادية⁽²⁾ attā' وللمؤنث attī'.

ومن أشكالها للمذكر في الآرامية⁽³⁾ ant' وقد جاء الشكل الكتابي مصحوباً بالتاء التي أصبحت لا تحقق نطقاً ant(h)' وقد حذفت الكسرة من المؤنث att لتميز المذكر عن المؤنث بالفتحة للمذكر، ولذا لم يعد المؤنث بحاجة إلى كسرة.

وقد حدث هذا الإدغام في الآرامية⁽⁴⁾ anta' التي أصبحت atta' و anti' التي أصبحت atti' وقد جاء ضمير المخاطب المفرد للمذكر بالهمزة والتاء من غير نون في الآرامية⁽⁵⁾ القديمة، ولم يرد توثيق لمجيء الضمير المؤنث المفرد.

وفي السريانية⁽⁶⁾ للمذكر المخاطب المفرد att' وأصلها ant' وللمؤنث المخاطب المفرد attī' وأصلها antī'.

وقد تبادلت التاء مع الكاف في العربية في الضمير (أنت) فحملها بعضهم على الضرورة، وحملها آخرون على أن التاء المهموسة قابلة للتبادل مع الكاف المهموسة. قال أبو علي الفارسي: "فإن شئت قلت: أبدل من التاء الكاف لاجتماعها معها في الهمس"⁽⁷⁾.

• ضمائر الخطاب للمثنى والجمع: أنتما، أنتم، أنتن

لم ترد صيغة المثنى من الضمير (أنت، أنتن) في اللغات السامية، وقد عبّر عنها في هذه اللغات بصيغة الجمع مذكراً ومؤنثاً، وكانت العربية استثناءً من بين هذه اللغات في خص المثنى بصيغة

(1) Brockelmann: I/ 300

(2) Riemschneider: 107, Ungnad: 31

(3) Rosenthal: 19

(4) Brockelmann: I. 300

(5) Degen: 54

(6) Nöldeke:44, Robenson: 13

(7) الفارسي، أبو علي: المسائل العسكرية، تحقيق إسماعيل عمارة، منشورات الجامعة الأردنية، عمان، 1981.

تختلف عن المفرد والجمع، ولكنها لقلة استعمال المثنى لم تفرق في هذه الصيغة بين المذكر والمؤنث. وهي ليست تنثية اصطناعية لـ (أنت) على حدّ تعبير ابن يعيش⁽¹⁾، إذ لو كانت تنثية اصطناعية لقبل (أنتان) بدل أنتما.

وقد جاء الجمع في اللغات السامية على قاعدة المفرد فيها، كما هي الحال مع المفرد والجمع مع الغائب والغائبة، ففي العربية: أنتم 'antum (ū) و بالإشباع، للمذكر، وللمؤنث (أنتن) 'antunna و وصلأً و (أنتن) 'antun بالتسكين و قفا، أي أن المعول في الفرق بينهما على الميم في جمع المذكر، والنون في جمع المؤنث، وفي الحبشية⁽²⁾ للمذكر 'anttémū بالميم، وللمؤنث 'antén. وقد أورد بروكلمان⁽³⁾ هاتين الصيغتين من غير تشديد التاء. وربما كان الإشباع في (أنتم) هو الأصل أي بوضع "واو بعد الميم"⁽⁴⁾. كما هي الحال في الألف بعد الميم في المثنى.

وفي العبرية⁽⁵⁾ 'attem لجمع المذكر (أنتم)، ولجمع المؤنث 'atten أو 'attēnā ، وهذه الأشكال متطورة عن صيغة المفرد 'attā وأصلها بالنون 'antā غير أن النون تحولت إلى تاء، وأدغمت فيها. وقد تميزت صيغة الجمع المذكر عن المؤنث بالواو، وللمذكر 'attun والياء الممالة للمؤنث 'attēn. وبهذا فإن الاختلاف في السريانية⁽⁶⁾ بين جمع المذكر وجمع المؤنث لم يعتمد على التفريق بينهما بالميم للمذكر وبالنون للمؤنث على غرار العربية والعبرية. ولعل في اختفاء الميم من المذكر والاختفاء بالنون ما يوضح اختفاء الميم من بين بعض اللهجات الشامية الحديثة في العربية، إذ يقال للرجال والنساء 'inton. وتأثر اللهجات العربية بالسريانية في هذه المناطق الشامية واضح ومسوّغ جغرافياً وتاريخياً؛ إذ كانت بلاد الشام موطن السريانية قبل الإسلام. وقد جاءت صيغة المذكر للجمع في الآرامية القديمة⁽⁷⁾ بالميم، ولكنه لم يوثق وروده للجمع المؤنث.

(1) انظر ابن يعيش: شرح المفصل 95/3

(2) Mittwoch: 47, Praetorius: 23

(3) Brockelmann: I/ 300

(4) ابن يعيش: شرح المفصل 87/3

(5) Brockelmann: I/ 302

(6) Ideke: 44ö N

(7) Degen: 55

حواشٍ على الضمائر: دراسة مقارنة

وقد التقت السريانية بالأكدية⁽¹⁾ في أمر التوحد على النون في الأكدية، إذ المذكر فيها 'attune' والمؤنث 'antina'.

وقد عدَّ الإشباع في (أنتم - أنتن) أصلاً في العربية. قال ابن يعيش "وإن شئت قلت (أنتم)، وثبوت الواو هو الأصل، لأن الواو تكون علامة ضمير الجمع في الفعل، نحو: قاموا"⁽²⁾.

وقد شاركت الحبشية⁽³⁾ أختها العربية في هذا الإشباع كما سلف 'antémū'. قال ابن يعيش في الواو من (أنتمو): "وحذف الواو تخفيفاً لتقلها عند أمن اللبس وزوال الإشكال"⁽⁴⁾.

(4)

ضمائر الغيبة

• ضمير الغيبة للمفرد: هو، هي

عرفت العربية لضمير الغائب المفرد شكلين شائعين من النطق لكل من المذكر (هُو) hū أو (هُوَ) huwa والمؤنث: هي hī أو: هي hiya وجاءت بهما القراءات القرآنية.

ومن الأشكال التي جاء عليها هذا الضمير الهاء المضمومة بضممة قصيرة - وقد حُمِلَ على الضرورة في (بيناه) من قول الشاعر:

فبيناهُ يَشْرِي رَحْلَهُ قَالَ قَائِلٌ لِمَنْ جَمَلٌ رِخْوُ الْمِلَاطِ نَجِيبٌ⁽⁵⁾

إذ الأصل أن يقول: فبيننا هو.

وقد ذكرت على ذلك أمثلة أخرى⁽⁶⁾، نحو: (حتاه فعلت ذلك)، أي حتى هي .. و (إنما فعلت

ذلك) أي إنما هي ..

ومنها: (هُوَ) المفتوحة المشددة وعليها قول الشاعر:

وإن لسانِي شَهْدَةٌ يُسْتَقَى بِهَا وَهُوَ عَلَى مَنْ صَبَّ اللَّهُ عَلَيْهِ عَلَقٌ

وقيل جاء هذا على لغة همذان (من اليمن) التي تشدد الواو في (هو) والياء في (هي). وهي

لهجة ما تزال معروفة مسموعة في بعض الأقطار العربية ولاسيما مصر.

وذكر على تشديد الياء قول الشاعر:

(1) Riemscheider: 292, Brockelmann: I/ 302

(2) ابن يعيش: شرح المفصل 95/3

(3) Brockelmann: I/ 300

(4) ابن يعيش: شرح المفصل 95/3

(5) ابن يعيش: شرح المفصل 96/3، وانظر مزيداً من الأمثلة لدى 14-13 Ideke: zur GrmmatiköN

(6) انظر ابن منظور: اللسان (هيا) 376/15، وانظر 15öN Ideke: zur Grmmatik:

والنفسُ ما أُمرتُ بالعنفِ أبيّةً وهي إن أُمرت باللطف تأتّم⁽¹⁾
 وقد عدّ ابن منظور المشدّدة أصلاً. قال: "أصلها أن تكون على ثلاثة أحرف، مثل (أنت)"⁽²⁾.
 ولا شك أن هذا الرأي محكوم بتصوير القدماء أن الكلمات تُردّ إلى أصول ثلاثية.
 وفي موازاة الأشكال التي جاءت عليها (هو) جاء ضمير المؤنث (هي). قال ابن يعيش في
 (هي): "وفيها ثلاث لغات (هي) بتخفيف الياء، وفتحها لما ذكرنا من إرادة تقوية الاسم، وهي
 بتشديد الياء مبالغة في التقوية ولتصير على أبنية الظاهر، وهي بالإسكان تخفيفاً"⁽³⁾. وتعبير
 سيبويه بكلمة "الإسكان" في هذا النص نابع من اعتقاد القدماء أن الياء في نحو: (هي) والواو في
 نحو (هو) ليست حركة، وإنما هما ساكنتان، وأن حركة الهاء في الضميرين هي الكسرة أي
 الصائت القصير مع (هي) والضممة مع (هو)، وهذا الوهم ربما كان نابعاً من تأثير الشكل الكتابي
 في التوصيف النطقي للغة⁽⁴⁾.
 وبذا تكون الكتابة الصوتية لهذه الأشكال هكذا: hiyya، hiya، hī، وثمة شكل أشار إليه
 سيبويه وهو: هُوَه، وهِيَه، hiyah، huwah، من غير تشديد، قال سيبويه: "وقالوا: (هِيَه)، وهم
 يريدون (هيَ)، شبهوها بياء (بُعْدِي)، وقالوا (هُوَه)"⁽⁵⁾. وقد جاء عليها في القرآن الكريم قوله
 تعالى: "وما أدراك ما هيه، نار حامية"⁽⁶⁾، وهذا من مقتضى الوقف وانسجام الفاصلة القرآنية مع
 ما يليها. قال السمين الحلبي: "وأسقط هاء السكت حمزةً وصلًا"⁽⁷⁾.
 وقد التقت السريانية⁽⁸⁾ مع العربية على استخدام hū للمذكر و hī للمؤنث، وأما جمع هاتين
 الصيغتين في السريانية، فقد كان بالنون، وهي نون مضمومة بالضم الطويل hēnnūn وفي
 المؤنث hēnnēn أي بالإمالة الياثية الطويلة. ولعلّ في هذين الشكلين ما يؤصّل تأثر بعض
 اللهجات العربية المعاصرة في بعض المناطق من بلاد الشام بهذا النطق.

(1) ابن يعيش: شرح المفصل 96/3-97، وابن منظور: لسان العرب (هيا) 376/15.

(2) ابن منظور: اللسان 376/15.

(3) ابن يعيش: شرح المفصل 97/3-98.

(4) انظر كتاب عميرة، إسماعيل: تطبيقات في المناهج اللغوية، دار وائل، عمان، 2000.

(5) سيبويه: الكتاب 163/4.

(6) سورة القارعة، الآية 10، وانظر السمين الحلبي: الدر المصون

(7) السمين الحلبي: الدر المصون 96/11، 433/10، وانظر ابن مجاهد: السبعة 695، وأبا حيان، محمد بن يوسف

الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ط2، دار الفكر، 1983: 507/8.

(8) Ideke: 44öN

حواشٍ على الضمائر: دراسة مقارنة

وقد جاء هذا الضمير على شكلين في السبئية⁽¹⁾ الهاء والهمزة، ويبدو أنها بالتحريك تصبح 'hu' وبالهاء والواو والهمزة 'hw'. وأما مؤنثه المفرد فهو 'h' ولعله لو حُرِّك لكان 'hw' أو 'hy'.

ويبدو أن الضميرين hū و hī هما الأصل، ولكن هذين الضميرين قياساً على أنتَ وأنتِ، ففيل hu+wa و hi+ya. إذ تشكل الضمير من مقطعين.

وعرفت الحبشية⁽²⁾ wa'etū = wa'+etū للمذكر، في مقابل ya'etī للمؤنث. ويبدو أن المقطع الأول من الضمير الدال على المذكر wa في مقابل ya للمؤنث تساويان wa من huwa و ya من hiya الضميرين العربيين. وقد عدَّ ابن يعيش هذين المقطعين wa و ya في (هُوَ)، و (هي) للتقوية⁽³⁾. وأما المقطعان 'etu من wa'etu والمقطعان 'eti من الضمير المفرد الغائب للمؤنث ya'eti فهما جاءا بالقياس على ضميري المخاطب المفرد مذكراً ومؤنثاً.

وقد سمح الشكل الكتابي للأرامية القديمة⁽⁴⁾ بقراءة هاء مع الهمزة للمذكر والمؤنث على حد سواء. وربما كان نطقهما 'hū أو huwa' أو hī أو hiya، ولكن نظام الكتابة القديم لهذه اللغة لا يسمح بإظهار الحركات.

وفي الأرامية الإنجيلية⁽⁵⁾ جاء ضمير المفرد الغائب للمذكر hū وللمؤنث hi وقد جاءت الكلمتان للمذكر والمؤنث منتهيتين بالألف في نظام الكتابة الأرامية، بما يشير إلى أن هذه الألف كانت في مرحلة سابقة تكتب وتنطق، كما هي الحال في (هُوَ) و (هي) في العربية. ولجمع المذكر ثلاث صيغ himmō و himmōn و inun وهنا تبادلت الهاء والهمزة، وهذا معروف. وأما جمع المؤنث فجاء 'innīn بالهمزة، ولا شك أن أصلها بالهاء. ويلاحظ هنا أن الاعتماد في المذكر على الميم، وفي المؤنث على النون كما هي الحال في العربية.

وجاء في السريانية⁽⁶⁾ الضمير hū للمفرد المذكر، وللجمع hēnnūn. وللمفرد المؤنث hi وللجمع hēnnēn.

(1) Beeston: 55

(2) Dillmann, August: Grammatik der Äthiopischen Sprache, Graz-Austria: 299, Praetorius: 23, Mittwoch 46

(3) ابن يعيش: شرح المفصل 97/3

(4) Degen: 54 انظر

(5) Rosenthal: 19

(6) Robinson: 13

وفي الحبشية التجرية⁽¹⁾ جاء ضمير المفرد المذكر hetū و hutū وللمؤنث hetā، وهو يذكر بما في بعض اللهجات الشامية (فلسطين) إذ يقال hutū للمذكر و hūtā أو hūthā للمؤنث. أي: هو وهي.

وفي السبئية hut للمذكر و hit للمؤنث. ويذكر بروكلمان⁽²⁾ أن العربية الإسبانية استعملت huet للمفرد المذكر و hiet للمفرد المؤنث. وفي هذا ما يفسر ورود هاتين الصيغتين في بعض اللهجات العربية المصرية المعاصرة، فيقال: huwwat و hiyyat.

وقد جاءت التاء في ضميري المفرد المذكر الغائب في الأكادية⁽³⁾ š ī'atu و المفرد المؤنث الغائب. وأما الصيغة المختصرة المعادلة للضمير: هو، في هذه اللغة⁽⁴⁾ فهي šū و للمؤنث š ī'at و جمع صيغة المذكر للجمع šunu و المؤنث للجمع šina. أي باعتماد الضم للمذكر، واعتماد الكسر للمؤنث، كما في العربية واللغات السامية الأخرى.

• ضمير الغائب للمثنى والجمع: هما، هم، هن

جاء في لسان العرب: "وتثنية (هي): هما"⁽⁵⁾. فالعربية تعرف مثنى للمفرد (هي) و (هو)، ولا نعرف ذلك لأي من اللغات السامية الأخرى، إلا العربية بفرعيها: الشمالي والجنوبي.

وجمع الغائب في العربية مذكراً: هم hum أو: همو hum(ū) بالإشباع، ومؤنثاً هُنَّ hunna وعند الوقف: هُنَّ hun، وهما مبنيان على قاعدة المفرد المذكر: هو hū أو المفرد المؤنث: هي hī. وقد حُرِّك آخر الضميرين قياساً على الضمائر الأخرى (أنت، أنت، نحن...) وجاءت الحركة مضمومة على آخر الضمير humū انسجاماً مع حركة المقطع الأول منه. وقد جاء شكلاً الضمير h و hw في السبئية⁽⁶⁾ للمذكر. ولعل الأول منهما يعبر عن hu والثاني يعبر عن huwa. ولكن الكتابة السبئية لا تظهر الحركات - كما هي الحال في الحروف النقشبية القديمة للغات السامية باستثناء الأكادية التي كانت تكتب بالمقاطع وليس بالحروف.

Broekelmann: I/ 303 (1)

Broekelmann: I/ 303 (2)

Broekelmann: I/ 304 (3)

Ungnad: 32, Riemschneider: 107 (4)

(5) ابن منظور: اللسان 376/15

Höfner, Maria: Altsüdarabische Grammatik, Leipzig, 1943: 31 (6)

حواشٍ على الضمائر: دراسة مقارنة

وجاءت صيغة الجمع في السبئية للمذكر بالميم $hum = hm$ في العربية الشمالية، و $humu = hmw$ في العربية الشمالية، وللمؤنث في العربية السبئية بالنون hn ، وهي تقابل هُنَّ في العربية الجنوبية⁽¹⁾.

وفي العربية الجنوبية صيغة للمثنى يستوي فيها المذكر الغائب والمؤنث الغائب hmy وهي تقابل في العربية الشمالية: $humā$.

أما ضمير جمع المذكر الغائب في الحبشية⁽²⁾ فهو بالميم المشبعة ضمناً $we'etōmū$ وهو بالنون الساكنة $we'etōn$ ، فالميم مع المذكر، والنون مع المؤنث. وهي الحال نفسها في العربية في (همو، وهن). وفي السبئية⁽³⁾ لجمع المذكر hmt وللمؤنث hnt .

وقد ورد الضمير العبري⁽⁴⁾ الدال على جمع المذكر الغائب، وهو $hēmma$ بالميم، ولكنها ميم مشددة، وبالتحريك، وجمع المؤنث الغائب بالنون $hēnnā$. وفي الآرامية القديمة كذلك بالميم المشددة المتحركة $himmō$ والمؤنث $hinnōn$ بالنون المشددة المتحركة. وبذا يكون التفريق بين المذكر والمؤنث عماده الميم للمذكر والنون للمؤنث. وتلتقي العبرية والآرامية في استعمال الميم مشددة، بالعربية فيما سمعناه من بعض لهجاتها المعاصرة - ولعلها قديمة أيضاً - إذ يقال في (هم) $humma$ وفي (هن) $hinni$. وهو قياس على صيغتي المفرد المشددين (هو) $huwwa$. و(هي) $hiyyi$ ويستعمل هذا في بعض اللهجات التي سمعناها في نواح من الأردن وفلسطين والجزيرة العربية.

وقد مرَّ أن المفرد الغائب في التجري⁽⁵⁾ $hetū$ أو $hūtū$ ، أما الجمع فتميّز بزيادة الميم $hetōm$ بالميم وكذلك المؤنث المفرد $hetā$ وأما الجمع فبالنون $hetan$. وفي بعض اللهجات العربية (في فلسطين) قياساً على المفرد فيها يقال في الجمع (هوتهم $hūthum$) للمذكر، وللمؤنث (هوتهن $hūthin$).

وأما الأكادية⁽¹⁾ فضمير الجمع للغائب المذكر هو: $šunu$ بالتقصير أو $šunū$ بالمد للمذكر في مقابل $šū$ للمفرد المذكر، و $šinā$ بالمد، أو بالتقصير $šina$ لجمع الغائب المؤنث، في مقابل $šā$ بالمد للمفرد المؤنث.

(1) fner: 31öH

(2) انظر: Mittwoch: 47, Dillmann: 300, Praetorius: 47

(3) Beeston: 55

(4) Brockelmann: I/ 305

(5) Bockelmann: I/ 305

وبذا نرى أن الأكادية قد استعملت الشين في مقابل الهاء في ضمائر الغيبة، وهي بهذا تقارب القتبانية من العربية الجنوبية⁽²⁾، التي استعملت السين، إذ المذكر s أو sw^w للمذكر والمؤنث s وللمثنى smy مذكراً ومؤنثاً. وأما الجمع المذكر فهو بالسين والميم sm والمؤنث بالسين والنون. وبذا تلتقي هذه اللهجة القديمة مع العربية واللغات السامية الأخرى التي تفرّق بين المذكر والمؤنث. فهي بالميم للمذكر والنون للمؤنث في نحو: (هم) و (هن).

والسؤال: لماذا استعملت بعض الساميات السين وبعضها الشين وبعضها الهاء في ضمير الغائب؟ أما السين والشين فبينهما تقارب، وقد تبادلت السين والشين في هذه اللغات، وحتى في اللغة الواحدة كالعربية مثلاً، كما في عجوز شَمَلَقَ وسَمَلَقَ. أما تبادل السين أو الشين مع الهاء فهو أمر مستغرب. ولكن هذه الغرائب تصادف في ظواهر أخرى كالضاد العربية التي تقابلها العين في الكلمات المشتركة بين العربية والسريانية⁽³⁾ على بُعد ما بين الصوتين.

ومما يلاحظ أن العربية استعملت للمثنى الغائب صيغة خاصة وهي: (هما) كما هي الحال في المتكلم المثنى (أنتما) وقد جاءتا دالّتين على المؤنث والمذكر على حدّ سواء، ويبدو أن العربية لم تفرق بين المذكر والمؤنث في المثنى لقلّة استعماله، بدلالة أنها لم تفرق بينهما، ولم يرد لهما نظير في اللغات السامية.

ومن الطريف أن ابن يعيش يشير إلى رأي تطوّري، مفاده أن الضمير (ها) جاء على قاعدة من بناء الضمير المفرد (هو) فقليل: (هما) وأصلها (هو + ما: hū + mā). قال: "وقيل إن أصل (هما): (هوما) فحذفت الواو"⁽⁴⁾، وبمفهوم المحدثين: قُصرت الواو. وقد ذهب ابن يعيش هذا المذهب في جمع المذكر، إذ (هم) أصلها (همو) بزيادة ميم وواو علامة للجمع كما زادوهما في (قاموا) و (أنتمو) قال: "هذا هو الأصل، أعني إثبات الواو، وقد تحذف الواو فراراً من ثقلها، ولأن اللبس مرتفع... ولما حذفت الواو أسكنت الميم"⁽⁵⁾. وقد رأينا سابقاً أن الحبشية قد حافظت على الواو بعد الميم.

Riemsneider: 107, 292, Ungnad: 32 (1)

fner: 31öH (2)

Bergsträsser: 4 (3)

ابن يعيش: شرح المفصل 97/3 (4)

ابن يعيش: شرح المفصل 97/3. (5)

حواشٍ على الضمائر: دراسة مقارنة

(5)

ضمائر النصب

• ضمائر النصب المنفصلة:

قال ابن منظور: "إيّا: من علامات المضمر، تقول: إيّاكَ وإيّاه، وإيّاكَ أن تفعل ذلك وهياك، الهاء على البدل مثل: أراق وهراق"⁽¹⁾.

وجاء في شرح المفصل: " (إيّا) اسم مضمر وما بعده من الكاف في (إيّاكَ) والياء في (إيّي) والهاء في (إيّه) حروف مجردة من الاسمية للدلالة على أعداد المضمرين وأحوالهم، لاحظ لها من الإعراب، وإنما قلنا إن (إيّا) اسم مضمر ليس بظاهر لأنه في جميع الأحوال منصوب الموضع"⁽²⁾.

وقد جاء هذا النوع من الضمائر المنفصلة في بعض اللغات السامية كالأكدية⁽³⁾ والعبرية⁽⁴⁾، على النحو الذي يشرحه الجدول الآتي:

العبرية	الأكدية	في العربية
'ōtī	yātī	إيأي
'ōtkā	kāta	إيّاكَ
'ōtaḵ	kāti	إيّاكَ
'ōtō	šūāti	إيّه
'otāh	siāti	إيهاها
'ōtanū	niāti	إيانا
'etkem	kunūti	إياكم
'etken	kināti	إياكن
'ōtām	šunūti	إياهم
'ōtān	šināti	إياهن

إنّ (إيّا) في العربية هي القاعدة الصوتية التي بُنيت عليها ضمائر النصب المنفصلة العربية. وقد تبادلت الهمزة مع الهاء ففيل في العربية: إيّاكَ وهياكَ⁽⁵⁾. في حين كانت القاعدة الصوتية التي

(1) ابن منظور: اللسان (أيا) 438/15.

(2) ابن يعيش: شرح المفصل 98/3.

(3) Riemschneider: 292، وعامر، سليمان: اللغة الأكادية، دار الكتب للطباعة والنشر، 1991: 225.

(4) انظر كمال، دروس اللغة العبرية 127.

(5) انظر ابن منظور: لسان العرب (هيا) 376/15.

بُنيت عليها ضمائر النصب المنفصلة الأكادية والعبرية هي التاء. وأما ما التحق بالقاعدة الصوتية لهذه الضمائر في العربية والأكادية والعبرية فهو يوافق العناصر الإشارية التي جاءت عليها ضمائر الجر المتصلة، فالياء في آخر ضمير النصب المنفصل للمتكلم المفرد في هذه اللغات يوافق الياء في نحو: بي، وكتابي. والضمير المنفصل في: (إياك) موافق للضمير المتصل في نحو: بك، وكتابك، وهكذا في الأكادية والعبرية.

ويلاحظ كذلك إيغال العبرية في التسكين في جلّ هذه الضمائر، نتيجة جنوحها الكبير نحو البناء، وأما العربية والأكادية فقد جاءت هذه الضمائر - وهي مبنية أيضا - متحركة الأواخر فيهما.

(6)

الصلة بين الضمائر

• في الصلة بين الضمائر المنفصلة والمتصلة:

قال ابن يعيش: "فإن قيل: ولم كانت المضمورات متصلة ومنفصلة؟ وهلا كانت كلها متصلة أو منفصلة؟ قيل: القياس فيها أن تكون كلها متصلة لأنها أوجز لفظا وأبلغ في التعريف"⁽¹⁾.

وابن يعيش ينطلق في تأصيله هذا منطلقا "وظيفيا" فالمتصلة أوجز لفظا، وهي - فيما يرى أبلغ في التعبير. وليس منطلقه تاريخيا تطوريا. وأما من الناحية التطورية فربما كان الأقرب أن تكون الضمائر المنفصلة هي الأقدم، لأن الضمائر المتصلة كثيرا ما يُلاحظ فيها أنها تأتي اختصاراً للضمائر المنفصلة، فالضمير المتصل من (عليهم وعليهم) الأصل فيه: الضمير المنفصل: (هم)، وكذلك الضمير في (عليهنّ وعليهنّ) الأصل فيه الضمير المنفصل: (هنّ). والضمير المتصل: (به) أصله: (ب + هو)، و (كتابه) أصلها: (كتاب + هو).

حافظ بعض الضمائر المتصلة على أصلها التاريخي، ألا وهو الضمّ في نحو قوله تعالى: "وما أنسانية"⁽²⁾. قال أبو حيان: "وقرأ حفص "وما أنسانية" بضم الهاء"⁽³⁾. ومن ذلك قراءة حفص لـ "عليه الله"⁽⁴⁾.

ويقول السمين الحلبي في تحليل هذه الظاهرة "لأن الياء هنا أصلها الفتح، والهاء بعد الفتحة مضمومة فنظر هنا إلى الأصل، وأما في سورة "الفتح" فلأن الياء عارضة، إذ أصلها الألف،

(1) ابن يعيش: شرح المفصل 85/3

(2) سورة الكهف، الآية: 63.

(3) أبو حيان: البحر 147/6

(4) سورة الفتح: الآية 10، انظر أبا حيان: البحر 147 / 6، وقد تحدث عن ذلك ابن مجاهد في: السبعة 394.

حواشٍ على الضمائر: دراسة مقارنة

والهاء بعد الألف مضمومة، فنُظِرَ إلى الأصلِ أيضا⁽¹⁾. وكلام السمين هذا يعني الالتفات إلى أن أصل (أنساني) من: (نسي) بفتح (نسي)، فنُظِرَ إلى أصل ما كانت عليه (أنسانية) أي فتح الياء من أصل (نسي) ولذا تلتها هاء الضمير المضمومة. وهذا فيما يبدو تعليل متكلف، وكذلك تعليقه لضم هاء الضمير في "عليه الله" إذ يرى السبب في ذلك أن حرف الجرّ - على الأصل - كان منتهيا بالألف، ولذا جاءت الهاء مضمومة. ويبدو أن هذا التعليل ضعيف أيضا. وأفضل من ذلك أن يقال: إن مجيء هاء الضمير مضمومة كان على الأصل المختصر من (هو hū) وهو الضمير المنفصل، وبعد أن أصبح متصلا خُففت الضمة الطويلة (هو hū) إلى (ه hu) في عليه a/lay/hu وفي (أنسانية 'an/sā/nī/hu).

وعلى هذا فإن اللغة اتجهت نحو التسهيل في خطوة تطورية على النحو الآتي:
أنسانيهو 'ansānīhū ← أنسانيه 'ansānīhu ثم إلى أنسانيه 'an/sa/nī/hi. والتحول من الضم إلى الكسر، أي من (hu إلى hi) أمر مسوغ صوتيا بسبب الكسرة الطويلة التي تسبق الضمير في: (أنسانية) وشبه الحركة y الياثية في (عليه a/lay/hi).
ولعل في هذا ما يؤكد أن ضمائر الرفع المنفصلة هي المحور الذي تطورت عنه الضمائر المتصلة، ولذا نجد "اختلاف القراء في ضم الهاء وكسرها من: (عليهم، عليهما، عليهن، لديهم، أيديهن ونحوها)"⁽²⁾.

ولعل ما يؤكد أصلية الضمير المنفصل وجود بقاياها في حركات الإشباع في نحو: له = لهو، وبه = بهي، وأخذه = أخذ هو. ويلاحظ أن ثمة سببا في عدم ظهور الضمة الطويلة على الهاء في نحو عليه a/lay/hi، ومنه min/hu، ورعاه ra/ā/hu فلم تظهر الضمة الطويلة على الهاء، وذلك لعلة صوتية.

ولعله يجدر أن نؤكد قانونا صوتيا يحكم حركة الهاء طولا أو قصرا في العربية مفاده:

1. أن المقطع الذي يسبق الهاء إذا كان قصيرا مفتوحا فإن المقطع الذي يتضمن هاء الضمير وصلا يأتي طويلا مفتوحا، نحو (به) التي تنطق (بي bi/hī) مع أن الحركة تكتب في العرف الكتابي التراخي قصيرة (به) هذا في وصل الكلام، وأما في الوقف فيتشكل مقطع قصير مغلق به bih.

(1) السمين الحلبي: 533/7.

(2) عضيمة، عبد الخالق: دراسات لأسلوب القرآن الكريم، دار الحديث، القاهرة، 2004: 24 / 8

2. وأن المقطع الذي يسبق الهاء في نحو: منه [°]min/hu وعليه [°]a/lay/hi إذا كان قصيرا مغلقا، فإن حركة الهاء تكون قصيرة في وصل الكلام، وأما في الوقف فيتشكل مقطع قصير مزدوج الإغلاق (منه [°]minh، وعليه [°]a/layh).
3. وأن المقطع الذي يسبق الهاء في نحو: فيه [°]fī/hi و: دعاه [°]da/ā/hu فإن حركة الضمير (الهاء في وصل الكلام تكون قصيرة، وفي الوقف يتشكل مقطع طويل مغلق (فيه [°]fīh) و: (دعاه [°]da/āh).
4. إذا كانت حركة الضمير (الهاء) في نحو: (به) و (له) وصلاً قد جاء بعدها همزة في الكلمة التالية، في القراءة القرآنية، فإنها تتجاوز الطول إلى المدّ في نحو: "مقداره ألف سنة" الهاء في مقداره مدها مديد [°]miq/dā/ru/hū,al/fa، وهو مدّ جائز جوازاً، وتمدّ بمقدار يتراوح ما بين 3 - 6 حركات.
5. إذا كانت حركة الضمير في نحو (به) وصلاً قد تليت بساكن في نحو: صاح به ابنه، أو صاح به الشرطي، فإن حركة الهاء تُقصر بسبب الساكن. ولكي يُحال دون تشكل مقطع طويل مغلق في وسط الكلام في صاح به ابنه [°]ṣā/ḥa/bi/hib/nuh، وصاح به الشرطي [°]ṣā/ḥa/bi/hiš/šur/ṭiyy.

الخاتمة:

ليست الغاية من هذه الدراسة أن تدرس الضمائر، فقد فعل ذلك كثير من القدامى والمحدثين، وقد سدوا الثغرة في دراسة ظاهرة الضمير، ولذا كانت هذه الدراسة مجرد حواش على ما تقدم من جهود قيمة، حفلت بها كتب العرب والمستشرقين، حواش ظنّ أنها قد تمثل رؤية إضافية، أتاحتها النظر إلى هذه الظاهرة من خلال المنهج المقارن، لتأصيل ما وعدت به مقدمة هذا البحث من تعدد للنطق الذي جاءت عليه الضمائر العربية. وهو تعدد لافلت للنظر، وقد حلا لكثير من الباحثين عزوه للضرورة الشعرية، وإذا بها أشكال من النطق الذي عرفته العربية في لهجاتها القديمة والحديثة، بل عرفته شقيقات العربية في عصورها السحيقة. وقد نطق بها الشعراء وغير الشعراء من القبائل التي استعملت هذه اللهجات التي أصبح بعضها لاحقاً لغاتٍ مستقلة، وقد حملت لنا النصوص أثراً من هذا التنوع النطقي في الضمائر وغير الضمائر من الظواهر اللغوية. وأما ما حُمل من أوجه التعدد على أنه ما كان ليكون أصلاً لولا الضرورة، فهذا فيه قدر من المبالغة، وتحميل "الضرورة" فوق ما تحتمل. ولعل الصواب أن يقال إنها أوجه من الجواز يتخير منها الشاعر ما يناسب شعره على أنها أوجه يقرّها الاستعمال العادي للغة.

حواشٍ على الضمائر: دراسة مقارنة

لقد أصلت هذه الدراسة الأشكال النطقية لما جاء عليه كل ضمير من الضمائر المنفصلة بالعودة إلى اللهجات العربية، واللغات السامية، وآراء النحاة العرب، وما تطلّبتّه أحكام الوقف والوصل، والأسباب الصوتية المختلفة.

وقد ناقشت الدراسة احتمال أن يكون ضمير المتكلم المفرد (أن an) أساساً لما بُني عليه من ضمائر أخرى ك: أنت، وأنت، وأنتم، وأنتن.

ووقفت الدراسة كذلك على ظاهرة التذكير والتأنيث في الضمائر، وظاهرة المثنى والجمع، فيما توافقت عليه العربية واللغات السامية، أو اختلفت فيه. وناقشت كذلك بعض جوانب الصلة بين الضمائر المتصلة والمنفصلة، وبينت احتمال أن تكون ضمائر الرفع المنفصلة أصلاً للضمائر المتصلة. ووقفت على الأسباب الصوتية التي أدت إلى تفسير تقصير حركة الهاء في نحو: (عليه، وفيه)، وأسباب طول حركة الهاء في نحو: (به، وله).

وقد تعرضت الدراسة إلى مسألة أصالة المصطلح العربي - فيما يتعلق بالضمائر وغير الضمائر - بما يثبت أن العربية قد أثرت في الدرس اللغوي العبري والسرياني، وليس العكس كما حلا لبعض الدارسين أن يدّعيه.

وثمة مسائل أخرى كشفت عنها تفاصيل هذا البحث الذي يمكن أن يُعدّ تطبيقاً على أهمية المنهج المقارن وأثره في مناقشة كثير من مسائل العربية، بروح تنظر باحترام وإجلال لمنهج علماء التراث اللغوي العربي، وتسعى إلى تدعيمه بمعطيات الدرس اللغوي المقارن.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- بكر، يعقوب، دراسات في فقه اللغة العربية، مكتبة لبنان، بيروت، 1969.
- ترزي، فؤاد حنا، في أصول اللغة والنحو، بيروت، 1969.
- تروبو، جيرار، نشأة النحو العربي في ضوء كتاب سيبويه، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، عدد 1—1978.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان، المنصف شرح التصريف للمازني، ق. إبراهيم مصطفى و عبد الله أمين، مصر، 1954.
- أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ط2، دار الفكر، 1983.
- السمين الحلبي، أحمد بن يوسف، الدر المصون، ق. أحمد الخراط، دار القلم، دمشق، 1987.
- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان، الكتاب، ق. عبد السلام هارون، عالم الكتب، بيروت.
- عامر—سليمان، اللغة الأكاديمية، دار الكتب للطباعة والنشر، 1991.
- عضيمة، عبد الخالق، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، دار الحديث، القاهرة، 2004.
- عميرة —، إسماعيل، تطبيقات في المناهج اللغوية، دار وائل، عمان، 2000.
- عميرة، إسماعيل، المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدراسات اللغوية، ط3، دار وائل، عمان، 2002.
- الفارسي، أبو علي، المسائل العسكرية، ق. إسماعيل عميرة، منشورات الجامعة الأردنية، عمان، 1981.
- فريحة، أنيس، في اللغة العربية وبعض مشكلاتها، بيروت، 1980.
- كمال، ربحي، دروس اللغة العبرية، دار النهضة، بيروت، 1978.
- كمال، ربحي، المعجم الحديث: عبري عربي، ط1، دار العلم، بيروت، 1975.
- ابن مجاهد، السبعة في القراءات، ق. شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، دون ت.
- ابن منظور، جمال الدين محمد بن وكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، دون ت.
- ابن يعيش، موفق الدين، شرح المفصل، دار الكتب، بيروت.

المراجع الأجنبية:

1. Beeston + Ghul + Muller + Ryckmans: Sabaic Dictionary (English – French – Arabic), Beyrouth, 1982.
2. Bergsträsser, Gotthelf: Einführung in die semitische Sprachen, Darmstadt, 1963.

حواشٍ على الضمائر: دراسة مقارنة

3. Brockelmann, Carl: Grundriss der vergleichenden Grammatik der semitischen Sprachen, Berlin 1908 (1. Band).
4. Dalman, Gostaf: Grammatic des Jüdisch – Palästinischen Aramäish, Darmstadt, 1981.
5. Degen, Rainer: Altaramäische Grammatik, Wiesbaden, 1969.
6. Dillmann, August: Grammatik der Äthiopischen Sprache, Graz – Austria.
7. Höfner, Maria: Altsüdarabische Grammatik, Leipzig, 1943.
8. Mittwoch, Eugen: Die Traditionelle Aussprache der Äthiopischen, Berlin - Leipzig, 1926.
9. Nöldeke, Theodor: Kurzgefasste Syrische Grammatik, Leipzig, 1891.
10. Nöldeke, Theodor: Zur Grammatik des Classischen Arabisch, Darmstadt, 1963.
11. Praetorius, F.: Äthiopische Grammatik, Leipzig, 1889.
12. Riemschneider, Kaspar K.: Lehrbuch des Akkadischen, Leipzig, 1973.
13. Robinson, Theodore H.: Paradigms and Exercises in Syria Grammar, London, 1994.
14. Rosenthal, Frans: A Grammar of Biblical Aramic, Wiesbaden, 1961.
15. Ungnad, Arthur: Grammatic des Akkadischen, Munchen, 1964.

ملحق

رموز الكتابة الصوتية

الصوائت		الصوامت			
a	(َ) فتحة	d	ض	ɪ	ء
u	(ُ) ضمة	t̤	ط	b	ب
i	(ِ) كسرة	ʒ	ظ	t	ت
ā	ا	c	ع	t̤	ث
ū	و	g	غ	g̃	ج
ī	ي	f	ف	ḥ	ح
è	ألف مماله نحو الياء قصيرة	q	ق	h (x)	خ
ē	ألف مماله نحو الياء طويلة	k	ك	d	د
o	ألف مماله نحو الواو قصيرة	l	ل	ḍ	ذ
ō	ألف مماله نحو الواو طويلة	m	م	r	ر
		n	ن	z	ز
		h	هـ	s	س
		w	و	ʃ	ش
		y	ي	ʒ	ص